

المحاضرة 03

تحليل العملية التعليمية

لا يمكن الحديث عن العملية التعليمية- التعلمية أو العملية الديداكتيكية إلا بالتوقف عند مفهومين أساسيين في مجال التعليم، بالتعريف والتحليل والاستكشاف، وهذان المفهومان هما: البيداغوجيا (la pédagogie) والديداكتيك (la didactique). ومافئ هذان المصطلحان العويصان يثيران إشكاليات عدة على مستوى المفهوم، والتصور النظري، والتطبيق العملي، إذ يصعب التفريق بينهما بشكل علمي دقيق؛ نظرا لتداخل هذين المفهومين في كثير من الدراسات العلمية والمعاجم والقواميس التربوية، ويصعب معه - كذلك- تبيان الحدود الفاصلة بينهما بشكل جلي وواضح.

حيث ان العملية الديداكتيكية تحوي مجموعة من المكونات الديداكتيكية الإستراتيجية هي: المدخلات، والعمليات، والمخرجات، والفيديباك. ويعني هذا أن الديداكتيك يتكون من الأهداف والكفايات من جهة أولى. ومن المضامين، والطرائق البيداغوجية، والوسائل الديداكتيكية، والإيقاعات الزمنية، والفضاء الديداكتيكي، والتواصل التربوي من جهة ثانية. ومن التقويم بكل أنواعه من جهة ثالثة. ومن الدعم والتغذية الراجعة أو الفيديباك من جهة رابعة.

ولايمكن الأستاذ أن يدبر دروسه أو يخطط لها إلا في ضوء هذه المكونات الديداكتيكية كلها؛ لأنها بمثابة آليات أساسية في قيادة الفصل الدراسي بكل مكوناته، والتحكم فيه تخطيطا وتديرا وتنظيما وتقويما وتتبعاً وتكويناً وتوجيهاً وإشرافاً وتنبؤاً. ومن هنا، فالعملية الديداكتيكية أو ما يسمى أيضا بالعملية التعليمية- التعلمية مرحلة ضرورية لبناء الدرس وإرسائه على أسس علمية متينة ورصينة وموضوعية.

مفهوم البيداغوجيا والديداكتيك

مفهوم البيداغوجيا

تعني البيداغوجيا (la pédagogie)، في دلالاتها اللغوية، تهذيب الطفل وتأديبه وتأطيره وتكوينه وتربيته. وقد تعني الذي يرافق المتعلم إلى المدرسة. وتدل أيضا على التربية العامة، أو فن التعليم، أو فن التأديب، أو نظرية التربية التي تنصب على جميع الطرائق والتطبيقات التربوية التي تمارس داخل المؤسسة التعليمية. وقد يكون المقصود بها كذلك العلم الذي يتناول التربية في أبعادها الفيزيائية، والثقافية، والأخلاقية.

ومن المعلوم، أن كلمة البيداغوجيا " إغريقية الأصل، وكانت تدل على العبد الذي يرافق الطفل في تنقلاته، وبخاصة من البيت إلى المدرسة. ولقد تطور استعمال الكلمة، وأصبح يدل على المربي (Pédagogue). والبيداغوجيا هي جملة الأنشطة التعليمية- التعلمية التي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين

وأكثر من هذا، فالتربية لها علاقة وثيقة بالمدرس والمتعلم، بل تنفتح على الإدارة والأسرة والمجتمع الخارجي

الذي يؤثر في المدرسة. وقد تعني البيداغوجيا تلك النظرية التربوية التي تهتم بالمتعلم في مختلف جوانبه السلوكية والتعلمية والتثقيفية، وتقدم مجموعة من النظريات التي تسعف المتعلم في تعلمه وتكوينه وتأطيره. ومن ثم، فالبيداغوجيا متعددة الاختصاصات. كما تنفتح على علوم عدة، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، والديموغرافيا، والإحصاء، والاقتصاد، والفلسفة، والسياسة، وعلم التخطيط، وعلم التوجيه، واللسانيات، والسيميوطيقا، وعلم التدبير، وعلم الإدارة، وعلم الإعلام...

هذا، وتنبنى البيداغوجيا على ثلاثة عناصر رئيسية هي: المعلم، والمتعلم، والمعرفة. أي: إن المعلم هو الذي ينقل المعرفة إلى المتعلم عبر المضامين والمحتويات، والطرائق البيداغوجية، والوسائل اليداكتيكية...

ويعني هذا أن ثمة مرتكزات تربوية ثلاثة: المعلم، والمتعلم، والمعرفة. فالمعلم هو الذي يقوم بمهمة تكوين المتعلم، ضمن علاقة بيداغوجية. وما يعلمه المعلم من معارف وأفكار ومحتويات ومضامين وخبرات وتجارب يدخل ذلك ضمن علاقة يداكتيكية. أما ما يحصله المتعلم من معارف ومعلومات يدخل ضمن علاقات التعلم. والجامع بين المرتكزات الثلاثة يسمى بالفضاء البيداغوجي. ومن هنا، يتضمن هذا الفضاء التربوي ثلاث علاقات أساسية هي: العلاقة اليداكتيكية (المعلم ← التعليم ← المعرفة)، والعلاقة البيداغوجية (المعلم ← التكوين ← المتعلم)، وعلاقة التعلم (المتعلم ← التعلم ← المعرفة)



وبناء على ماسبق، فإن التربية فعل تربوي وتهديدي وأخلاقي، يهدف إلى تنشئة المتعلم تنشئة اجتماعية صحيحة وسليمة. ومن جهة أخرى، تساهم التربية في الحفاظ على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، وتسعى جادة لتكوين المواطن الصالح.

وتسعى التربية جادة إلى إدماج الفرد في المجتمع تكييفا وتأقلمًا وتصالحا وتغييرا، كما تسعى إلى " الإنماء الكامل لشخصية الإنسان، وتعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية. يعني تكوين أفراد قادرين على الاستقلال الفكري والأخلاقي، ويحترمون هذا الاستقلال لدى الآخرين، طبقا لقاعدة التعامل بالمثل التي تجعل هذا الاستقلال مشروعا بالنسبة إليهم."

ويضاف إلى ذلك أن التربية تحقق مجموعة من الوظائف الجوهرية، كالـتعليم، والتثقيف، والتطهير، والتهذيب، والتنوير، وتحرير الفكر من قيود الأسطورة والخرافة والشعوذة، والسمو بالإنسان نحو آفاق إيجابية ومثالية.

مفهوم الـديداكتيك

إذا كانت الـبيداغوجيا تخصصا نظريا عاما، يتحكم في العلاقة التي تكون بين المعلم والمتعلم، فإن الـديداكتيك (la didactique) هو تخصص عملي تطبيقي يتعلق بتدريس مادة معينة، إذ نقول: ديـداكتيك العربية، وديـداكتيك الفرنسية، وديـداكتيك الرياضيات، وديـداكتيك العلوم..... ويعني هذا إذا كانت الـبيداغوجيا مرتبطة بالمتعلم ونظريات التعلم، فإن الـديداكتيك لها حيز ضيق، يتعلق بمجال دراسي معين، أو ما يمكن تسميته كذلك بالتربية الخاصة.

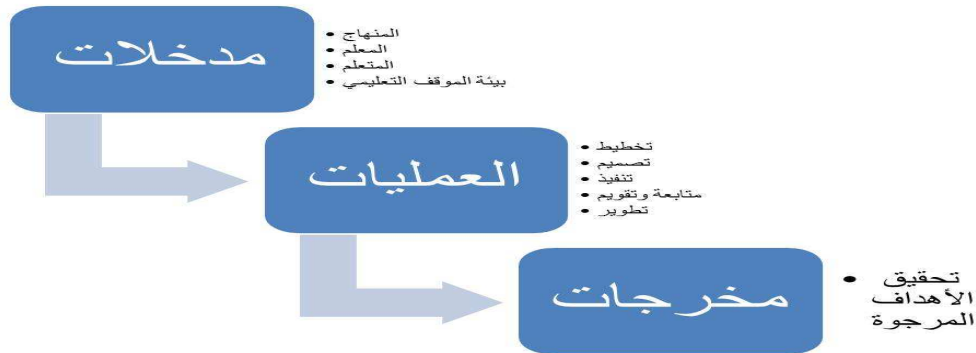
وللتمييز بين الـبيداغوجيا والـديداكتيك، فالأولى عبارة عن نظرية عامة تعنى بتربية الطفل. في حين، تهتم الثانية بالتدريس، وتتخذ طابعا خاصا.

وإذا كان مصطلح الـبيداغوجيا قد ظهر قديما مع اليونان، وكان يعني تهذيب الطفل وتأديبه، فإن مصطلح الـديداكتيك قد ظهر في منتصف القرن العشرين، و" استخدم بمعنى فن التدريس أو فن التعليم (Art d'enseigner). هذا هو التعريف الذي قدمه قاموس (Le Robert) سنة 1955 وقاموس (Le Littré) سنة 1960. وابتداء من هذا التاريخ، أصبح المصطلح لصيقا بميدان التدريس، دون تحديد دقيق لوظيفته. وهناك من منظري علوم التربية من اعتبر هانس إيلي (Hans Aebeli) أول من اقترح عام 1951 م إطارا عمليا لموضوع الـديداكتيك، في مؤلفه (La didactique psychologie)، حيث نظر إلى الـديداكتيك كمجال تطبيقي لنتائج السيكولوجيا التكوينية

نعني بالـديداكتيك طريقة التدريس أو ما يسمى بالعملية التعليمية- التعليمية، وتجمع هذه العملية بين طرفين أساسيين هما: المعلم والمتعلم. ومن ثم، تنبني العملية الـديداكتيكية على المدخلات، والعمليات، والمخرجات، والتغذية الراجعة. وقد تكون المدخلات أهدافا أو كفايات أو ملكات أو غيرها من التصورات التربوية الجديدة المعترف بها رسميا. وتستهدف هذه المدخلات تسطير مجموعة من الكفايات المزمع تحقيقها في شكل أهداف إجرائية سلوكية، قبل الدخول في مسار تعليمي، أو تنفيذ مجزوءة دراسية، ويتم ذلك بوضع امتحان تشخيصي قبلي في شكل وضعيات إدماجية. يعني هذا أن العملية التعليمية- التعليمية تنطلق من مدخل أساسي يتمثل في تحديد الأهداف الإجرائية أو الكفايات النوعية من أجل التثبيت من تحقيقها. لذا، لا بد أن يختار المدرس المحتويات المناسبة، والطرائق الـبيداغوجية الكفيلة بالتبليغ وتسهيل الاكتساب والاستيعاب. ثم هناك الوسائل الـديداكتيكية التي يستعين بها المدرس لتقديم درسه وتوضيحه بشكل جيد. أما المخرجات، فتقترن بقياس الأهداف والقدرات والكفاءات لدى المتعلم على مستوى الأداء والممارسة والإنجاز. ويتحقق هذا القياس عبر محطات التقويم التشخيصي والمرحلي والنهائي.

ولا يمكن الحكم على الهدف أو الكفاية إلا بالتقويم الذي قد يكون تشخيصيا أو قبليا أو تكوينيا أو إجماليا أو إسهاديا أو مستمرا أو إدماجيا... وبعد ذلك، نلتجئ إلى التغذية الراجعة والدعم والمعالجة الداخلية والخارجية.

ويعني هذا كله أن الديدكتيك أو التربية الخاصة تعتمد على الأهداف أو الكفايات من ناحية أولى، والمضامين والطرائق والوسائل الديدكتيكية من ناحية ثانية، والتقويم والفيديباك من ناحية ثالثة.



تحليل العملية التعليمية:

قبل تحليل العملية التعليمية لا بد لنا أن نقف أمام مفاهيم أساسية "التعليم والتعلم"

1. التعلم: ونعني بها عملية التحصيل التي يدرك الفرد موضوعا ما ويتفاعل معه كما أنه عملية يتم بها

اكتساب المعلومات والمهارات وتطوير الاتجاهات

2. التعليم: هو نشاط تواصلي يهدف إلى إثارة المتعلم وتهيئته وتسهيل حصوله على المعرفة ا

العملية التعليمية: هو كل تأثير يحدث بين الأشخاص ويهدف إلى تغير الكيفية التي يسير وفقها الآخر،

والتأثير المقصود هو الذي يعمل على إحداث تغيرات في الآخر بفضل وسائل تصورية معقولة، أي بطريقة

تجعل من الأشياء و الإحداث ذات مغزى

تحليل العملية التعليمية: تعني بتحليل العملية التعليمية الدراسة التحليلية التي تهدف إلى فهم وتفسير

ظواهر التعليم داخل المؤسسات المدرسية والمؤسسة التكوينية وتقتصر الدراسة على محاولة تفكيك ظاهرة

مشخصة من صلب الواقع المدرسي وهي ظاهرة إثناء أنجاز الدرس

مراحل العملية التعليمية: تنحصر العملية التعليمية في 4 مراحل هي :

1. مرحلة التنظيم: ويتم فيها تحديد الغايات العامة والخاصة، كما يتم فيها اختيار الوسائل الملائمة، التي

تساعد في فهم الدروس وتحقيق نسبة كبيرة من التحصيل

2. مرحلة التدخل: أي تطبيق إستراتيجيات وإنجاز تقنيات تربوية داخل القسم.

3. مرحلة تحديد وسائل القياس: لقياس النتائج وتحليل العمليات.

4. مرحلة التقويم: وفيها يتم تقييم المراهق كلها بامتحان مدى انسجام الأهداف وفعالية النشاط

التعليمي.

مكونات العملية التعليمية :

1. الأهداف: وهي العنصر الأساسي، كما أنها تمثل نقطة انطلاق باقي العناصر وتوجه باستمرار سيرورة

العملية التعليمية كما تفيد في الوقوف على مدى استجابة المتعلمين لما قدّم لهم في مختلف الدروس.

2. المعلم: هو موجه للمتعلمين ومصدر المعرفة ويتميز المعلم الناجح بالتعقل في الحكم؛ المراقبة الذاتية

«ضبط النفس»؛ الحماس؛ الجاذبية؛ التكيف والمرونة؛ بعد النظر.

3. المتعلم: هو جوهر العملية التعليمية ومحورها، وانطلاقاً منه تتحدد باقي العناصر بصورة علمية،

ولتفعيل وإنجاح العملية على المعلم أن يهتم بجميع الجوانب في شخصية التلميذ.

4. الطريقة: وهي مختلف الأنشطة أو الخطوات المنظمة وفق مبادئ وفرضيات سيكولوجية متجانسة

وتستجيب لهدف محدد، لا يمكن الحديث عن الطريقة إلا عندما يتحقق قدر من التلاؤم بين الأهداف

المبادئ والخطط والتقنيات.

5. الوسيلة: من الخطأ تسميتها وسائل الإيضاح، فهي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية. ومن شأنها

توضيح المفاهيم وتشخيص الحقائق، كما أنّها تضيف لمحتويات المواد الدراسية ⁷يوية وتجعلها ذات قيمة

عملية وأكثر فعالية، وأقرب إلى التطبيق، وتساعد التلميذ على فهم المادة وتحليلها وترسيخ المعلومات في

ذاكرته وربطها في مخيلته.

6. المحتوى: هو كل الحقائق والأفكار التي تشكل الثقافة السائدة في مجتمع ما وفي ⁸لقبة معينة. وهو

مختلف المكتسبات العلمية والأدبية وغيرها مما تتألف منه الحضارة وبما تزخر به الثقافات في كل البقاع،

والتي تصنف في النظام الدراسي إلى مواد مثل اللغة؛ الحساب؛ التاريخ... واختيار مادة دون غيرها أو قسما

منها دون سواه يتم بناءً على الأهداف والغايات المتوخاة.

7. نمط التواصل: وهو مقياس التفاعل بين المعلم والمتعلم ذلك لأن كثيراً من الدراسات أثبتت أهمية

العلاقة بين المعلم وتلميذه باعتبارها متغيراً ⁹اسماً في تحديد نمط التعليم وطريقته.

صعوبات تحليل العملية التعليمية:

- مرتبطة بالأهداف التي وضعت مجموعة القسم من أجلها فعندما يعهد المجتمع بالصغار إلى المدرسة

فإنه لا ينتظر منها أيضاً إعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين .

-وترتبط الصعوبة الثانية بصفة عامة بمحتويات التعليم وموارده وكذا بالتكنولوجيا المتوفرة والمستعملة في القسم وبالظروف السيكلوجية التي تحيط بالمدرسة وأنواع التنظيمات والامتحانات والتي تجعل من ظاهرة القسم معقدة تتفاعل داخل عوامل متشعبة وتنصهر فيها عوامل ومتغيرات شديدة التباين.

نماذج لتحليل العملية التعليمية

من الصعوبة الحديث عن نموذج في التربية عامة وفي الديداكتيك على وجه الخصوص، نظرا إلى ارتباط^[1] الوثيق بالنظرية إلى حد الاختلاط بينهما، ثم لأن النظرية في العلوم الإنسانية، ومنها التربية والبيداغوجيا، نسبية، فالنموذج هنا في هذا السياق «أداة تحليلية أو أسلوب في التحليل بقدر ما يساهم في التطور التقني للتعليم بوجه عام، فإن^[2] يساهم أيضا في إرساء دعائم علم التدريس حتى يبتعد قدر الإمكان عن الارتباط بالجوانب الذاتية (الفنية) ويبتعد عن العشوائية واضطراب الفعالية على مستوى المردودية والإنجاز

ومن ثمة تنبثق الحاجة إلى النموذج باعتباره بناء ذهنيا مجردا يختزل عنا^[3] لَر مُعَيَّنَة، فهو «...لا يشكّل نظرية، (ولكن^[4]) أداة للبحث قد تؤدي إلى تكوين نظرية ما، بحيث يستمد فائدته^[5] العملية من طابع العمومية التي تميزه

فالنموذج، إذن، بناء ذهني مجرد، وأداة تحليلية، تتوافق في^[6] خا^[7] يةُ العُمومية، ويُفضي إلى تأسيس «علم التدريس»؛ أي أنّ النموذج، بهذا المعنى، هو مجموعة من المُسَلِّمات والمنطَلقات التي تُوطَّرُ التدريس، وَتُوجَّه^[8] بما يلائم مُدْخَلاتِ المنظومة التربوية، ومُخْرَجَاتِها .

فما هو النموذج/ النماذج التي تبنتها أي المنظومة التربوية؟

حيث تم استichاء التصنيف العام الذي وضعه^[9] الباحثون في النماذج البيداغوجية : إذ يدُكَّرُون منها

-- - النموذج التكويني :

(تكوين شخصية المتعلم) الذي ظهر بألمانيا أواخر القرن الماضي، والذي يركز على البعد الفلسفي

والفكري في التكوين ضمانا للوحدة الثقافية في المجتمع، ويمثل^[10]

« كلافيكي » من خلال السؤال : لماذا؟ (المحتوى التعليمي، ودلالته^[11] بالنسبة إلى الفئة المستهدفة، وكيفية

تنظيم^[12]، وأشكال تو^[13]يح^[14]).

- النموذج الإعلامي :

ينظر إلي^[15] «فرانك» بحيث يطرح بعض الأسئلة:

لماذا نُعَلِّمُ؟ (الأهداف).

ماذا؟ (المحتوى)

بأي وسيلة؟ (الوسائل).

كيف؟ (الوسائل والطرائق...).

لمن؟ (الفئة المستهدفة).

- نموذج «فان خلدر» (تحليل التعليم)

- الأهداف نقطة البداية .

كيفية التدريس (اختيار المادة وتنظيمها

. أشكال العمل - تمارين التعلم - الوسائل) .

التقويم (نتائج التعليم).

- نموذج تحليل النشاط التربوي الذي وضعه (سواريس)

- الغاية من التعليم.

والفئة المعنية به. وظروفه، ومحتوياته، وطرقه...